

محلل الشعرية بين أرسنحو حالي وحازم القرطاجي

رحمني بومقاش

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى مسألة بعض مفاهيم الشعرية، ومقارنتها بأصولها العربية واليونانية، فهي محاورة للتراث العربي واليوناني بحثاً عن تأصيل مفهوم الشعرية أولاً، وقراءة في شعرية حازم القرطاجي وكتابه "منهج البلاغة وسراج الأدباء" ثانياً، وأخيراً هي نظرية في مسألة الأثر الأجنبي (اليوناني تحديداً) في البلاغة والنقد العربي، ومحاولة للوقوف على فضاء التأثير والتأثر بين حازم وأرسطو، وفق المنهج المقارن، و من خلال مدونتي في الشعر و منهاج البلاغة وسراج الأدباء ، انطلاقاً من أن كتاب "فن الشعر" لأرسطو كتاب مؤسس للشعرية ، وكتاب حازم القرطاجي كتاب في البلاغة المعضودة بالأصول الفلسفية والمنطقية.

الكلمات المفاتيح: أصول ، مقولات ، الشعرية ، مقارنة ، مفاهيم

Résumé

Cette étude consiste à poser certaines questions sur la compréhension poétique et sa comparaison par rapport à ses origines arabo-grecques. Premièrement, c'est la dialogique du patrimoine arabe et grecque recherchant l'origine de la compréhension poétique, et la lecture dans la poésie de HAZEM EL-CATARGENI (Hazem Le Carthaginois) et son livre « MINHADJ EL-BOULAGHA OUA SIRADJ EL-OUDABA » « La méthode des rhéteurs et la lumière des lettrés », deuxièmement, c'est un regard sur le sujet du patrimoine étranger (précisément grecque) en matière de la rhétorique et de la critique arabe, et un essai en s'arrêtant sur l'influence entre HAZEM et ARISTOTE , conformément au modèle comparatif et plus précisément, le modèle de l'école Française, et ce, à partir de deux chroniques de l'art poétique et la méthode rhétorique et la lumière des lettrés ». le livre « Art poétique d'Aristote » est un livre fondamental de la poésie, quant au livre de Hazem El-Catargeni c'est un livre sur la rhétorique soutenue par les origines philosophiques et logiques

Mots clés : Actifs, Catégories, Poétique, Comparer, Concepts.

Summary

This study aims to explore some poetic items and compare them with Arabic and Greek origins. First, the study is a discussion of Arabic and Greek heritage looking for the origin of poetic definition. Secondly, It is a poetic reading of Hazam al kartajani's book "Minhaj elbolaga wa siraj el odabba" . finally it is a careful look at the foreign influence(especially the Greek one) on the Arabic rhetoric and critic, and an attempt . to analyse the interrelation between (Hazam) and (Aristotle) according to the comparative method and exactly French school method depending on the two books (Fan ashiare) and (minhaj elbolaga wa siraje al odabaa)

Keywords: Assets, Categories, Poetry, Compare Concepts.

* أستاذ محاضر بـ، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بن عبد العزيز سطيف²

ـ التحرك داخل اللغة الفنية باعتبارها انتزاعاً عن المعيار يفتح فضاء تأويل النصوص ، بعد أن عممت البلاغة القديمة على جعل عملية تأويل النصوص الأدبية رهينة مجموعة من القواعد المعيارية .

وفي معرض تقييق دلالة الشعرية ، تستعرض الدراسة بعضها من أوجه إشكالية الآخر اليوناني في الدرس النقدي العربي ، وفي الخطاب النقدي عند حازم القرطاجني بصفة خاصة ، وبهذا تجمع الدراسة في ثناياها محاولة الإجابة على التساؤلات الآتية :

ما دلالة مصطلح الشعرية الشعرية عند حازم القرطاجني وعن أرسطو طاليس ؟

هل في شعرية حازم القرطاجني ما يفيد أنها صدى لشعرية أرسطو ؟

أو بمعنى آخر: هل تأثر حازم بأرسطو في تنظيره للشعرية بمفهومها عند صاحب فن الشعر ؟ ،

ما هي أوجه التشابه والاختلاف بين بلاغي عربي عاش في بيئه ثقافية أساسها عقيدة التوحيد وجمالية الشعر الغنائي ، وبين فيلسوف إغريقي عاش في بيئه يونانية مخالفة للبيئة العربية ، أساسها الشعر التمثيلي أولاً ؟

1 / المصطلح والمفهوم

إن الخلفية الاصطلاحية واللغوية لمفهوم الشعرية¹ أنها مصطلح لساني يوناني (poetic) ، يتكون من ثلاث وحدات لغوية: (poeim) وهي وحدة معجمية تعني في اللاتينية الشعر أو القصيدة ، واللاحقة (ic) وهي وحدة مرفولوجية (morpheme) تدل على النسبة وتشير إلى الجانب العلمي لهذا الحقل². وقد حاول النقاد العرب المحدثين نقل هذا المصطلح ، في صورته الحديثة إلى النقد العربي ، فاختلقوها في تسميتها بين: **الشعرية** ، **الأدبية** ، **الإنشائية** ، **الشاعرية** ، **بوطيقيا** ، **بوتيك**

وتعود أصول هذا المصطلح الأولى إلى "أرسطو" وكتابه "فن الشعر" ، والذي ترجمه العرب القدامي (أبو بشر متى بن يونس القنائي 328 هـ) إلى "أبوطيقا" ، أما في ترااثنا العربي ، فقد ورد المصطلح في كثير من نصوصه بدلارات مختلفة ، ومن هذه النصوص³:

توطئة

ليس المصطلح مجرد وحدة معجمية لغوية فحسب ، وإنما هو مسألة معرفية (ابستمولوجية) ومفهومية قبل كل شيء؛ يتوقف عليه بناء العلوم والمعارف ، فهو منتهى مقاصدها و مجمع حقائقها ، ودليل خصوصيات كل حقل معرفي ونشاط إنساني ، بفضله تتم عملية التثاقف والتجمات النقدي ؛ فهو يعكس قدرة الثقافة على احتواء الأفكار و تحويلها إلى لغة قابلة للفهم والتواصل ، فالمصطلح يتحول عند ترجمته إلى لغة تقاهم بين الثقافات والشعوب ، ليعبر عن مدى ثراء اللغة في استظهار رصيد عملية النقل الدلالي ، مبرزاً القدرة على عقد قرائي تواصلي وتدابيري يتجاوز الحدود المعجمية له إلى فضاء ايمائي ودلالي مكثف.

وفق هذه الرؤية ؛ تحاول الدراسة إعادة فحص الرصيد الاصطلاحي عند النقاد القدامي ، وتأكيد سيرورة المصطلح التداوily والمعرفية والنقدية ، متخذة من مصطلح الشعرية أنموذجاً لهذا الفحص ، على أن الغاية من إعادة فحص المصطلح النقدي ، واللسانوي ، والبلاغي الموروث هو العمل على امكانية إعادة تشغيله وتدابره ، وهذا بتدعيم المصطلح بتħidid دلالي ، يبيّن مجال اشتغال المصطلح وحملته المعرفية والمفهومية. إذ يتم هذا التħidid الدلالي وفق رؤية ثلاثة الأبعاد: بعد الدلالي لمصطلح الشعرية في الدرس النقدي المعاصر ، بعد الدلالي لمصطلح الشعرية في "فن الشعر" لأرسطو ، بعد الدلالي لمصطلح الشعرية في " منهاج البلاغة وسراج الأدباء لحازم القرطاجني .

حيث إن المصطلح النقدي (الشعرية) يبني على منطلقات ثلاثة:

ـ لا تستطيع البلاغة القديمة وحدها تحديد مواطن الجمال في النصوص الإبداعية ، ذلك أنها تعاملت مع النص من منظور بنيته المغلقة ، وأغفلت باقي مقوماته الجمالية.

ـ تتصور البلاغة القديمة أن الشعرية لا تكتمل إلا بالمحسنات الجمالية ، بينما يتعدى مفهوم الشعرية خصائص النص الشكلية إلى البحث عن خصائص جوهيرية في الخطاب الأدبي.

والسؤال التالي فيها ليس كيف يدرس الأدب؟... وإنما هو ما هي (الماهية) الفعلية لموضوع بحث الدراسة الأدبية⁶. ولعل الخوض في حقيقة أصل الم المصطلح عند العرب وبالضبط عند القرطاجي لا يخلو من مجازفة علمية واضحة، وذلك لوجود نقاط تقاطع بين الشعرية من وجهة نظر عربية والشعرية من وجهة نظر غربية، ذلك إن: "الكاتب الغربي يرى في الشعرية متغيرات لا يستقرّ عندها وبالتالي تعترض سبيله، ولذلك يحاول ما استطاع إيجاد مخرج لهذه الأشكال. وسيسر على خطاه الكاتب الشرقي حديثا يترجم ما يكتبه في قضية تلتقي في العنوان ولكنها تختلف مضمونا رغم حداثتها المعاصرة وهذه القضية هي [الشعرية]⁷. ومن ثمة نعود بدءا للإجابة عن التساؤلات والإشكالات التالية: هل في شعرية حازم القرطاجي ما يفيد أنها صدى لشعرية أسطو؟ أو بمعنى آخر: هل تأثر حازم بأسطو وهو ينظر للشعرية؟، ثم ما مفهوم أسطو للشعرية وما مفهوم حازم لها أيضا؟ وفيما تمثلت رؤيتهما للشعرية؟ وإلى أي مدى أمكننا القول بحداثة مقولاتهما الشعرية؟

إنها تساؤلات تدرج ضمن سياق حقيقة الهوية الثقافية لتراثنا النبدي والبلاغي والفلسفية، إذ إن العودة إلى علاقة شعرية وبلاهة حازم بأسطو، هي عودة لعلاقة الفلسفه المسلمين المتأنقين بثقافة الآخر الغربي / اليوناني ، فهل الذي حدث هو عملية "تغريب" قام بها الفلسفه والشراح المسلمين ، انطلاقا من القول بتبعية الاصطلاح الفلسفى العربي للآخر الغربي " فهذا واحد من المتقدمين وليس بأوحدهم وهو أبو محمد عبد الحق بن سبعين ، الفيلسوف الصوفي القريب العهد من ابن رشد يصف هذا الأخير بأنه بلغ النهاية في تقليد أسطو حتى لو أنه سمعه " يقول: إن القائم قاعد في زمان واحد لقال به واعتقد: وأكثر تاليه من كلام أسطو، إما يلخصها، وإما يمشي معها [...]. ولا يعود عليه في اجتهاده، فإنه مقلد لأسطو⁸. إن الذي حدث هو ما يسميه عبد الله إبراهيم "سوء تأويل ثقافي" ، بين ابن رشد والفلسفه المسلمين وبين أسطو، من خلال إسقاط قواعد وقوالب خاصة بأجناس أدبية يونانية (التراجيديا والكوميديا والملحمة) على شعرية عربية أساسها الشعر الغنائي المخالف لهذه الأجناس؟ أم إن الذي حدث هو محض عملية تلاقي

- قول الفارابي: " والتتوسيع في العبارة بتكتير الألفاظ بعضها ببعض وترتيبها وتحسينها. فيبتدىء حين ذلك أن تحدث الخطوبية أولاث الشّعرية قليلاً قليلاً".

- قول ابن سينا: "إن السبب المولد للشعر في قوة الإنسان.... وانبعثت الشّعرية منهم بحسب غريزة كل واحد منهم وقريحته في خاصته وبحسب خلقه وعادته".

- قول حازم القرطاجي: "وكذلك ظن هذا أن الشّعرية في الشعر إنما هي نظم أي لفظ اتفق كيف اتفق نظمه وتضمنيه أي غرض اتفق على أي صفة اتفق، لا يعتبر عنده في ذلك قانون ولا رسم موضوع وإنما المعتبر عنده إجراء الكلام على الوزن والنفاذ به إلى قافية"⁴.

والملاحظ على المصطلح في النصوص التراثية ، أنه لا يحمل مفهومه النبدي واللساني ، ذلك أن الشعرية : " لم يعرفها العرب القدماء بمعناها الحديث ، وإنما ترددت عندهم ألفاظ من قبيل ، شاعرية ، شعر شاعر ، والقول الشعري ، والقول غير الشعري والأقوال الشعرية ، ثم ولج المصطلح في الدراسات الحديثة كعلم موضوعه الشعر ، أو علم الأدب"⁵، وهنا نستثنى نص حازم القرطاجي ، لأن لفظ الشعرية في نصه السابق يحمل معناه النبدي ، فالقرطاجي يرفض أن يكون الشعر تنظيميا عشوائيا للألفاظ والأغراض ، بل للشعرية في الشعر قوانين تحكم في عملية بنائه.

وأما المصطلح كمفهوم نبدي ولساني في الدرس الأدبي الحديث ، فهو المفهوم الذي يعالج الوظيفة الشعرية من بين الوظائف الأخرى في نص ما ، أي أنها تهتم بالوظيفة الشعرية في النصوص الشعرية والأدبية ، بحثا عما يجعل منها شعرية وأدبية.

من هنا تكون الشعرية محاولة لبسط الصراحة العلمية في الحقل الأدبي ، من خلال البحث عن قوانين للخطاب الأدبي أو الشعري ، إنها حقل همه الوحيد إيجاد "إجماع جمالي" ، أو لقاءات ممكنة بين المفاسد الجمالية التي تشكل جسد النص ، لا على اعتبار هذا الأخير واقعة منجزة بل بالبني المجردة للأدب؛ أي أن حقل اشتغال الشعرية ليس العمل الموجود أو ما وجد؛ يقول "إيختباوم" في هذا المقام: "إن كل ما تتميز به [أي الشكلانية] ، هو محاولتها إنشاء علم مستقل للأدب ، مهمته دراسة المادة الأدبية بالمعنى الدقيق للكلمة ،

لقد أقام الفيلسوف الإغريقي موازنة بين الشعر وباقى الفنون لاشتراكها في المحاكاة التي هي عماد الشعر ، فالرسم فن يحاكي بواسطة الألوان والرقص يحاكي بواسطة الإيقاع والموسيقى والشعر يحاكي بواسطة اللغة ، وخلص إلى أن الشعر أوفى حظا من الفلسفة وأسمى مقاما من التاريخ لأن الشعر يروي الكلي بينما يروي التاريخ الجزئي ، وإلى أن الشعر أقرب إلى الفلسفة وأسمى مرتبة من التاريخ.

إن الشعرية في تصور أرسطو طاليس مفهوم يرتكز على شبكة اصطلاحية ، يشكل فيها كل من: المحاكاة ، الحكاية ، التعرف والتحول ، التطهير أركان هذه الشبكة ، وإن كانت الوظيفة الشعرية في النص تتجسد في المحاكاة لأنها -حسب رأيه- لا تشوّه الطبيعة بل هي غريزة في الإنسان يحصل بفضلها لذة ومتعة.

إذ أن الملحمة والمأساة والديثربوس وجل صناعة العزف بالنار والقيادة أنواع من المحاكاة ، فهي تحاكي الطبيعة بوسائل مختلفة وموضوعات متباعدة أو بأسلوب متباين أما الفن الذي يحاكي بواسطة اللغة نثرا وشاعرا فهو الأدب. كما أن الشعراء يحاكون إما من هم أفضل منا أو أسوأ منا أو مساوون لنا شأنهم شأن الرسامين ، فالمحاكاة الشعرية هي الخلق من جديد وإعادة تشكيل الواقع سواء طابقه فعلاً أم لم يطابقه.

إن المحاكاة تماماً كما الحكاية-آلية فنية خاصة بالمؤلف ، أما التعرف والتحول اللذين يحدثن التطهير فهو أمر خاص بالمتلقي ، حيث تكون الحكاية تعسید للمحاكاة فنياً بالأحداث والحبكة ، ويكون التعرف والتحول مسار هذه الحكاية بين الشخصيات وأحداثها ، أما التطهير فهو همزة وصل بين النص والمتلقي.

إن دور المحاكاة أثر في تقسيم أرسطو لأجناس النص الشعري فقد " انقسم الشعر وفقاً لطبع الشعراء ، فذوو النفوس النبيلة حاكوا الفعال النبيلة وأعمال الفضلاء ، وذوو النفوس الخسيسة حاكوا فعال الأدنى ، فأنشأوا الأهاجي ، بينما أنشأ الآخرون الأناشيد والمدائح " ¹³.

كما تتبع أرسطو نشأة الأجناس وتطورها فرأى أن التراجيديا نشأت ارتجالاً من الديثربوس ، وأصل الكوميديا الأغاني التي تدور حول الذكر ، أما الملهأة فيجهل مؤسسها لقلة الاعتناء بها وعدم التعريف بعناصر الجودة والممثلين ، ومع

حضارى بين العرب وبين الغرب تمثلت في شروح فلسفة أرسطو؟

وهنا نستأنس بما كتبه مجموعة من الباحثين حديثاً⁹ في مسألة الشعرية العربية والغربية من زوايا مختلفة أولاً ، وما كتب حول إشكالية المثاقفة في التراث الفلسفى والبلاغى العربى ثانياً ، فتباور لدينا موضوع المقارنة بين شعرية حازم القرطاجي وشعرية أرسطو طاليس.

2/فلسفة المحاكاة باعتبارها أساساً للشعرية عند أرسطو

يمثل أرسطو طاليس الفيلسوف المؤسس للشعرية كمفهوم يبحث فيما يجعل من أثر ما أثراً فنياً ، ذلك أن كتابه "فن الشعر" نص مؤسس للنظرية الأدبية في أوروبا بعبارة "تدوروف" ، فالكتاب يقرأ على ضوء مقارنته بمصنفاته الأخرى من قبيل "السياسة" و"الأخلاق" و"الخطابة" و"الطب" ، وفي إطار الاعتراض على موقف أستاذة من الفن عموماً والشعر والأدب خصوصاً ، انتطلاقاً من أن نظريته في الفن هي ردة على نظرية شيخه أفلاطون ، حيث لم يكن بحثه في الشعر التمثيلي بأنماطه الثلاثة بحثاً في قطاع معين من الفن دون غيره ، بل رام أن يكون مدخله لهذا إلى الشعر مدخلاً كلياً لأنهتناول المسألة الأجنبية انتطلاقاً من مبدأ كلي هو المحاكاة ¹⁰.

وهكذا فإن مفهوم الشعر عند أرسطو ليس وزناً وإيقاعاً فقط ، بل هو وزن وإيقاع ومحاكاة ، إذ: "أن الناس قد اعتادوا أن يقرنوا بين الأثر الشعري وبين الوزن ، والواقع أن من ينظم في الطب أو الطبيعة يسمى عادة شاعراً ورغم ذلك فلا وجه للمقارنة بين هوميروس وأبياذوقليس إلا في الوزن ولهذا يخلق بنا أن نسمي أحدهما شاعراً ، والآخر طبيعاً أولى منه شاعراً"¹¹ ، فمفهوم الشعر حسب هذا التصور ليس إلهاماً أو نبوغاً بل عملية مؤسسة على أقوال مخيلة ومحاكية للطبيعة تشير اللذة والمتعة ، قائمة على الإيقاع الذي يفضله نفرق بين المحاكى بالألوان (الرسم) والمحاكى بالأصوات (الموسيقى) ، مع لغة بارعة تتميز بالاستعارة في المقام الأول حيث يقول أرسطو: " وأنهم من هذا كله البراعة في الاستعارات لأنها ليست مما نتلقاه عن الغير بل هي آية المawahب الطبيعية لأن الإجاده في المجازات معناها الإجاده في أدراك الأشباه" ¹².

للوزن والقافية وإلى التعريف الفلسفى المتكون من التخييل والمحاكاة ، وإلى مقصدية التأليف يأخذان انتفاف في نفس المتلقى أي تحبيب الأشياء وتكريرها له ، والوسيلة في هذا هو حسن التخييل والمحاكاة ثم الإغراب والتعجب.

إن المحاكاة الشعرية عند صاحب المنهاج جبلة إنسانية ، ذلك أن "النفوس قد جبت على التنبه لأنباء المحاكاة والالتذاذ بها منذ الصبا ، وكانت هذه الجبلة في الإنسان أقوى منها في سائر الحيوان"¹⁶، إنها تصير القبيح جميلاً أو مقبولاً وبالتالي فهي إما محاكاة تحسين أو تقيح أو مطابقة لا يقصد بها إلا ضرب من رياضة الخواطر والملح ، أو محاكاة موجود بموجود ومحاكاة موجود بمفروض الموجود ، أو محاكاة محسوس بمحسوس ومحسوس بغير محسوس وغير محسوس بمحسوس ، ومن ثم فالنص محاكاة من زاوية علاقته بالواقع ، تخيلاً من زاوية القوى النفسية التي تبدعه ، تخيلاً من زاوية القوى النفسية التي تتلقاه حسب جابر عصفور¹⁷ ، أما الإغراب والتعجب فهو ما يثيره الشاعر من لطائف الكلام التي يقل التهدي إلى مثلها ، أي أنهما كل ما من شأنه أن يثير استغراب النفس.

وللأوزان خاصية شعرية أساسية عند القرطاجي ، حيث لم يهمل الحديث عن البحور الشعرية ، فهي حسب رأيه أربعة عشر بحراً من طويل وبسيط ومديد ووافر وكامل ورجز ورمل وهزج ومنسرح وخفييف وسريع ومتقارب ومقتضب ومجثث ، أما المضارع والغائب فهما في قناعته بحران لا يرقيان إلى الذوق العربي وأن الذوق العربي أكبر من أن يكون هذين الوزنين من نتاجه.

ولعل نظرته للأوزان الشعرية أساسها نظرية التناسب التي تحقق حلاوة المسمومات ، حيث "أن التناسب بين المسمومات والمفهومات هو أساس الشعرية في القول ولهذا أولاه حازم كل عنایته فلم يقتصره على العلاقة بين الأصوات في الشعر بل وسع مداه ليشمل كل مكوناته"¹⁸ وهكذا يحدد في "معرف دال على طرق المعرفة بأنحاء النظر في بناء الأشعار على أفق الأوزان لها" مجموعة من الخصائص الوزنية المناسبة لمختلف الأغراض ، ومن ثم يكون الشاعر حسب توظيفه لهذه الأوزان والأغراض إما ضعيفاً أو متمنكاً أو بين الإثنين.

4/ تعدد الإجابة في سؤال المقارنة

هذا التتبع لكل الأجناس نجد أنه يهتم بالتراتيجيدية اهتماماً خاصاً ، فلماذا يكون النص المأساوي هو النص المحقق للشعرية في نظر فيلسوف اليونان؟

إن المأساة نص يتميز بالمحاكاة أولاً وباللغة ثانياً ، له وظيفة أخلاقية هي تطهير المتلقى ، ولا يكتمل بنائه السردي إلا بشخصيات وبطل ، يتقدّم دورهم الإبداعي والتلميسي لعلاقتهم بما سيؤول إليه حال المتلقى بعد مشاهدته للعرض التراجيدي ، ومن ثم فهو نص شعري بامتياز لتوفّر أركان الإبداع الأدبي فيه ، من متلقٍ (يتطرّف من أفعاله القبيحة) ، ونص يتميز بلغة تكون بلا فخامة عبارة وجلالة فكرة لأن المهم فيها هو الوظيفة التطهيرية ، وكاتب يحاكي أفعال النبلاء وفعاليهم الحميدية.

3/ الغنائية كمأهولة للشعرية العربية

وفي مقابل هذه الخاصية الثقافية اليونانية ، يقف حازم القرطاجي في القرن الثامن الهجري بكتابه "منهاج البلاغة وسراج الأدباء" على وضع ثقافي وسياسي خاص ، من شأنه تحديد نموذج شعري خاص يعيد من خلاله النظر في الموروث البلاغي والفلسفى العربى.

لقد كان حازم على وعي بما لحق الشعر من اختلال في الطيّاب وقصر للعناية به ، واستهانة وتسفيهه "أحساء العالم" و "المغالطين في دعوى النظم" و "من لا علم لهم بالشعر" لمهمته الحضارية ، بسبب اعتقادهم أن مقدماته كاذبة ، وهو الذي كان دستور العرب والشاعر كالنبي ، فكم من خطب هونه بيت شعري وكم من خطب عظمه بيت آخر.¹⁴

وهكذا يجب أن يعاد النظر في بعض المفاهيم الشعرية الرائجة ، إذ أن الشعرية في الشعر ليست نظم أي لفظ اتفق كيف اتفق نظمه وتضمينه أي غرض اتفق على أي صفة اتفق ، دون الاعتبار لأي قانون ولا رسم أي موضوع حسب عبارة القرطاجي.

وأول مفهوم يصححه هو مفهوم الشعر ، إذ لا يتحدد بالجانب الشكلاني فقط بل "الشعر كلام مخيل موزون مختص في لسان العرب بزيادة التقافية إلى ذلك ، والائمه من مقدمات مخيلة صادقة أو كاذبة ، لا يشترط فيها غير التخييل"¹⁵ ، وهو في هذا يستند إلى الأساس النقدي المتضمن

زمانه جامعاً بين العلوم النقلية والعلوم العقلية كالمنطق والفلسفة باثاً في صدور الرجال العلوم والفلسفة.

أما القصد الذي راشه حازم من تأليف المنهاج على ضوء الواقع الثقافي الذي عاصره فهو النهوض بدور الشعر الحضاري، وبالتالي البحث عن دقائق الشعرية التي لم يتطرق إليها الفيلسوف اليوناني، من خلال إقامة علم للشعر يستعين فيه بالفلسفة والبلاغة وعلوم اللسان، بناء على رؤى الفلسفه الإسلاميين وبالضبط الفارابي الذي ذكره مرتين (وهو الخارج من جهة أفلاطون)، وأبن سينا الذي ذكره أربع عشرة مرة (وهو الخارج من جهة أرسطو).

ويكثُر القرطاجي من الإحالات على الشيخ الرئيس ابن سينا، بل ويصرح بأنه يأمل أن يكون ما صاغه من القوانين هو ما أشار إليه ابن سينا فيقول: " وقد ذكرت في هذا الكتاب من تفاصيل هذه الصنعة ما أرجو أنه من جملة ما أشار إليه أبو علي بن سينا"²⁰ ، كما تتطابق عدة نصوص من المنهاج مع نصوص ابن سينا في كتاب الشفا. واتفقا (ابن سينا مع حازم) على ارتباط قوانين أرسطو بالأجناس الأدبية اليونانية وصورها على الإمام بآداب العرب، ومن ثم ضرورة إعادة التنظير الشعري إلى ديوان ونقد العرب.

على أننا قد نفرق بين حازم وأرسطو انطلاقاً من تصورهما لمفاهيم الشعرية، بغض النظر عن المجالية والسبق إلى تأسيس هذا المفهوم اللساني الأدبي، يبدو أن مؤلفاً الرجلين فيها تباين كبير من حيث التقسيم وسياق التأليف ومن حيث عناية الأول بالشعر الغنائي وإهمال الثاني له.

ثم إن كتاب أرسطو المترجم عربي الترجمة، إذ بقي في نسخته السريانية التي ترجمت إلى العربية حتى جاء المترجمون الغرب ونقلوه من تلخيص ابن رشد، وهنا يرى طه عبد الرحمن أن كتاب الميتافيزيقيا لأرسطو قوله ابن سينا أربعين مرة لكي يفهمه والصعوبة لم تكن في فكر أرسطو الذي تجاوز العقول بل كان في العبارة التي تجاوزت جميع القوانين الجمالية للغة العربية فكان لا يفهم النص ولذلك اضطر ابن سينا أن يكرر وقال تصدق تصور محبة الحكمة لأي درجة أنه تصدق لها فهم الكتاب واليهم - حسب طه عبد الرحمن دائماً - هو أن هناك فيلسوفاً حاول أن يرفع هذه الركاكة عن العبارة الفلسفية ويعيد صياغة المترجمات بلغتين تجتنب إلى

إن تحليل شعرية حازم القرطاجي قياساً بشعرية أرسطو جعل الباحثين يختلفون في الأصول والمنابت المعرفية لحازم وهي أسطورية يونانية أم أنها صنعة عربية فريدة، وهنا اختلاف بين قائل بتغايره وسائل بأنه منزج البلاغتين العربية واليونانية، وبين القائل بأنه بلاغي عربي وشاعر مبدع شكل عقله النحو وأصول الفقه.

فشكري عياد محقق كتاب الشعر يعتبر القرطاجي قد جهد أن ينتفع بكتاب الشعر أعظم الانتفاع وأن المنهاج كتاب غالب فيه التيار اليوناني على العربي، وأما محقق المنهاج محمد الحبيب ابن خوجة فقد رأى أن كتاب حازم جمع بين المبادئ الهيلينية والعربية وأنه ملم بفلسفات سocrates وأفلاطون وأرسطوطاليس، أما إحسان عباس فقد قال بأن مسألة الأثر الأجنبي في النقد العربي مسألة موجودة إلى نهاية القرن الثامن للهجرة وأن القرطاجي ما هو إلا حلقة أخيرة من حلقات الاتصال بين أرسطو والنقد العربي، وأنه منزج الاتجاه الفلسفى المستمد من كتاب أرسطو و الاتجاه النبدي المستمد من الآثار النقدية العربية، وهو الرأي نفسه الذي يطالعنا به جابر عصفور، أما محمد أبو موسى فيعتبر حازم عقل عربي فريد أجيز في الفقه والنحو لأنه لم يصرح بنفسه أنه متاثر بأرسطو أو أنه منزج البلاغتين العربية واليونانية وأن الرواة الذين نقلوا عنه لم يصرحوا بهذا مطلقاً.

5/مقاصد الخطاب الحازمي في ضوء واقعه الثقافي

إن تنوع الآراء واختلافها دليل على أن المنهاج نص يقبل عدة تأويلات، وبالتالي فالتعويل عليه وعلى الظرفية التاريخية والثقافية التي صاحبته أمر ضروري لحل الإشكال، لأن " محلل الخطاب - شأنه في ذلك شأن المخاطب - لا يملك طريقة مباشرة للوصول إلى المعنى المقصود من طرف المتكلم عند تلفظه بالقول ، فهو في الغالب يحتاج إلى الاعتماد على عملية استنتاج تمكنه من التوصل إلى فهم المقولات ، أو فهم طبيعة الروابط بينها"¹⁹.

حيث أن القرطاجي عاش زمن بداية سقوط الأندلس، كما أنه ابن فقيه وقاضي، وهو مالكي المذهب كوالده نحوياً بصربيا كعامة أهل الأندلس حافظاً للحديث راوية للأخبار، من مشايخه أبو علي الشلوبي الذي كان كبير نحاة الأندلس في

7 / خاتمة

حاولت الدراسة في محاورها الكبرى ، تقرير مصطلح الشعرية بوصفه مصطلحاً نقدياً حديثاً ، فأقرت أن موضوع الشعرية ظل موضوعاً خصباً للنقد الأدبي ، فهو يمثل قضية لها خصوصية الامتداد التاريخي والحضور المعاصر ، بالإضافة إلى أنها تنتمي بالتدخل والتواصل مع العلوم الأدبية والفنية المختلفة ، ومن ثم تصبح وظيفتها توجيه الناقد والشاعر -على حد سواء- إلى قوانين العمل الأدبي ، وتوجيه الرسام والمسيقي والنحات -وغيرهم من أهل الفن- إلى شعريات خاصة بفنهم.

كان المصطلح عند أرسطو مفهوماً يدور حول مجموعة من المحاور ، أبرز هذه المحاور وأكثرها حضوراً مفهوم المحاكاة ، فكان الشعر عند أرسطو محاكاة ، والفارق بين الذي ينظم في الطبيعة وبين الشاعر ليس الوزن فقط بل المحاكاة ، فذو النفوس النبيلة يحاكون الأفضل من الناس ، ذوو النفوس الدينية يحاكون الأراذل من الناس ، كما جعل المحاكاة غريبة فيما يفضلها يتميز الإنسان عن سائر المخلوقات ، فالمحاكاة والحكاية من عمل المؤلف ، والتعرف والتحول والتطهير منوط بالمتلقي ، والحكاية فهي تجسيد لهذه المحاكاة بالأحداث والحبكة ، في حين أن التعرف والتحول هو مسار هذه الحكاية ما بين الشخصيات والأحداث المتغيرة فيها ، على أن التطهير هو همزة وصل بين التأليف والتأثير ، بين مدى إحكام الصنعة في العمل ومدى تطهيره للمتلقي.

بينما يمثل المفهوم عند القرطاجي صياغة وفق الثقافة العربية ، فالشعرية ليست نظم أي لفظ كيف اتفق دون أي قانون أو رسم ، إنما للشعرية عند القرطاجي مبادئ وأطر تصنّع فرادى القصيدة

أما قضية التأثير من عدمها ، فهي قضية غير يقينية ومحظ خلاف بين الدارسين أنفسهم ، وأن الحقيقة هنا هي حقيقة فكرية معرفية ، وهذا النوع من الحقيقة يراها عبد الرزاق عيد "تسير دائمًا على طريق إنكار ذاتها بسيرة ذاتية لا تكتمل ولا تنتهي بلا نهاية الكون ولا نهاية المعرفة ولا نهاية القيمة" ²². وأن اليقين في كل هذا اعتماد حازم على الرؤى الفلسفية والنقدية لمن سبقة.

حد ما قلق العبارة وسماتها شروح وهذا هو ابن رشد فابن رشد يعني إلى حد ما شروحه ولا يترجم من النص الأصلي لأنّه لم يكن يعرف اليونانية ولا السريانية وإنما كان يعيد صياغة الترجمات صياغة قد يقبلها التعبير العربي.

6 / مختلف ومؤتلف المفاهيم الشعرية

لقد أقام كل من العلمين مقارنة بين الشعري والخطابي ، إذ ميز فيلسوف الإغريق بين الشاعر وعالم الطبيعة من خلال الوزن ، في حين أن القرطاجي يميز بينهما انطلاقاً من الإقناع والتخيل ، وهنا تأتي قناعة حازم لتأكد أنّ أشعار اليونان إنما كانت أغراضًا محدودة يفرضون فيها وجود أشياء وصور لم تقع في الواقع ، وأن التشبيه عندهم يقع في الأفعال لا في ذوات الأفعال ، وهي نظرة لا تختلف نظرة الشيخ الرئيس ابن سينا في كتاب الشفا.

إن الفاعلية الشعرية كما سطر لها فن الشعر لا تتأتى دون المحاكاة التي هي غريرة في الإنسان تظهر فيه منذ الطفولة وتختلف تباعاً للأنحاء التي تكون بها ، وهي كذلك في المنهاج جبلة في النفس لتنبهها لأنحائها واستعمالها والالتاذ بها منذ الصبا ، وهكذا فعالية المحاكاة في المنهاج وفن الشعر واحد هو التذاذ النفوس ، كما أن تقسيم حازم للمحاكاة إلى تحسين وتبسيط وcompatibility ، يذكرنا بالعلاقة التي أنشأها أرسطو بين طبع الشعاء وأصناف المحاكاة ذُو النفوس النبيلة يحاكون أعمال الفضلاء ذوو النفوس الخصيصة يحاكون فعال الأديان.

وبحسب سعد مصلوح فإن المحاكاة مفهوم فلسفى موروث انتقل إلى حازم فقرأه وتمثله بل وأفلت من أسر الفلسفة عندما جعلها محاكاة أحداث وأفعال ²¹ ، ومن ثم بالمحاكاة الحازمية أرسطية الأصل مقرونة بهم الفلسفة والبلاغيين العرب مطبقة بطريقة بلاغية على ديوان العرب.

أما التخييل فقدعني به أرسطو في كتاب النفس ، وهو عند حازم قرين المحاكاة . وهنا نجد أيضًا تشابهاً بين تخيل حازم وطرق التعرف عند أرسطو وإن اختلف التخييل عن التعرف في المفهوم ، ويحط كلّهـما على غاية واحدة هو إحداث تطهير ولذة في نفس المتلقي ، وكذلك كان الحال في مناسبة الأوزان للأغراض الشعرية باتقاقيهما بأن شعرية الأوزان يقابلها شاعرية للشعراء وتناسب الأوزان مع الأغراض.

الهؤامش

1. تعمق البحث في الشعرية خلال العقود الأخيرة ، نتيجة التحول في نظرية الأدب ووظيفته إذ لم يعد موضوع علم الأدب الأدب نفسه ، بل أصبح "الإجابة عن السؤال: ما الذي يجعل من رسالة لفظية أثرا فنيا" ينظر رومان جاكبسون ، قضايا الشعرية ترجمة محمد الولي مبارك حنون ، دار توبقال المغرب، 1988م ، ص:24.
2. رابح بوجوش ، الأسلوبيات وتحليل الخطاب ، منشورات جامعة باجي مختار ، (د، ت.د، ط) ، عنابة الجزائر. ص: 57.
3. حسن ناظم ، مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت الدار البيضاء ، ط 1 ، 1994م. ص: 12.
4. أبو الحسن حازم القرطاجني ، منهاج البلاغة وسراج الأدباء ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن خوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت-لبنان ، ط 2 ، 1981.ص: 28.
5. مولاي على بوخاتم ، مصطلحات النقد العربي السيميائي الإشكالية والأصول والامتداد ، إتحاد الكتاب العرب 2005 دمشق. ص: 64.
6. عدنان بن ذريل: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق.2000م. ص: 26.
7. عبد العزيز إبراهيم ، شعرية الحداة ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2005م. ص: 06.
8. طه عبد الرحمن فقه الفلسفة القول الفلسفية كتاب المفهوم والتأثيل ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء بيروت ، ط 1 ، 1999م. ص: 11.
9. يمكن أن نشير هنا إلى بعض من هؤلاء الباحثين مثل ما كتبه محمد محمد أبو موسى في تقرير منهاج البلاغة لحازم القرطاجني سنة 2006م ، وما كتب أحمد الجوة في بحوث في الشعريات سنة 2004م ، أو ما كتبه محمد العمري سنة 1999م في البلاغة العربية ، أصولها وامتداداتها ، أو مقاله "ثلاث لحظات في تاريخ الشعرية ، أرسطو وحازم وجاكبسون" المنشور في مجلة علامات ، العدد 13-2000.
10. أحمد الجوة ، بحوث في الشعريات مفاهيم واتجاهات ، مطبعة التسفير الفني ، صفاقص تونس ، 2004م. ص:50.
11. أرسطوطاليس ، فن الشعر ، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة ، بيروت ، (د.ت) ص:06.
12. نفسه. ص:64.
13. نفسه. ص:13.
14. حازم القرطاجني ، منهاج البلاغة وسراج الأدباء.ص:122.
15. نفسه.ص: 89.
16. نفسه.ص: 116.
17. جابر عصفور ، مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 5 ، 1995م.ص:191.
18. أحمد الجوة ، بحوث في الشعريات.ص:189.
19. ج.ب. براون و ج. يول ، تحليل الخطاب ، ترجمة وتعليق محمد لطفي الزليطي ومنير التربكي ، جامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية 1998.ص:42.
20. حازم القرطاجني ، منهاج البلاغة وسراج الأدباء ، ص:70.
21. سعد مصلوح ، حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخيل ، ط 1 ، عالم الكتاب ، القاهرة ، 1980م. ص: 85 ، 93.
22. عبد الرزاق عيد سدنة هيأكل الوهم نقد العقل الفقيهي البوطي أنموذجا ، دار الطليعة بيروت ، ط 1 ، 2003. ص: 88